البعد الديني لفلسفة التتويج عند ملوك كوكا بجبل سيسي (سيسب)

د. عـوض شـبّا

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر – السودان

المستخلص:

تهـدف هـذه الورقـة إلى تنـاول جانـب مهـم مـن الجوانـب المرتبطـة بمراسـم تتويـج ملـوك كـوكا عـلى جبـل سـيسي، والبعـد الدينـي الـذي تكتسـبه هـذه المراسـم مـن حيـث موقعهـا وطقوسـها والتقاليـد والأعـراف المصاحبـة لهـا. وتـبرز أهميـة هـذه الدراسـة العلميـة في أنهـا تتنـاول موضوعًـا لم يُطـرق بالقـدر الـكافي في الدراسـات المتعلقـة بالنوبيـين خـلال الفـترة المتأخـرة، وهـي الفـترة التـي تزامنـت مـع وجـود جيـوب ملكيـة اسـتمدت كثـيرًا مـن تقاليدهـا مـن الإرث المسـيحي.وقد اعتمـدت الورقـة عـلى المنهـج التاريخـي التحليـلي، وسـعت إلى بنـاء صـورة ذهنيـة مقاربـة عـبر محاولـة إعـادة محـاكاة المراسـم القديمـة التـي كانـت تُقـام في جبـل سـيسي، وذلـك ضمـن فعاليـات مؤتمـر علمـي عُقـد في منطقـة كـوكا. وتوصلـت الدراسـة إلى أن البعـد الدينـي يمثّـل عنـصرًا جوهريًـا في مراسـم التتويـج الملـكي، كـما يشـكّل ركيـزة أساسـية للنظـام السـياسي. وخلصـت كذلـك إلى أن فلسـفة هـذه المراسـم مسـتمدة مـن الممالـك السـودانية القديمـة، مـرورًا بالفترتـين المسـيحية والإسـلامية، مـع وجـود مظاهـر واضحـة للاسـتمرارية والتغـيّر في آن واحـد.

الكلمات المفتاحية : مملكة كوكا ،جبل سيسي، مراسم-،التتويج الملكي.

The religious dimension of the coronation philosophy of the Kuka kings of Mount Sisi (Sisb)

Dr. Awad Sheba

Abstract:

This paper aims to examine an important aspect of the coronation ceremonies of the Kings of Koka on Mount Sisi, focusing on the religious dimension these ceremonies acquire through their location, rituals, and accompanying traditions and customs. The significance of this scholarly study lies in its exploration of a topic that has not been sufficiently addressed in research on the Nubians during the late period—an era marked by the presence of royal enclaves that derived much of their traditions from a Christian heritage.The paper employs the historical-analytical method and seeks to construct an approximate mental image by attempting to reconstruct the ancient ceremonies once held on Mount Sisi, as part of a scientific conference convened in the Koka region.The study concludes that the religious dimension

constitutes a fundamental element of the royal coronation ceremonies and forms an essential pillar of the political system. It also finds that the philosophy underlying these ceremonies is rooted in ancient Sudanese kingdoms, extending through the Christian and Islamic periods, with clear manifestations of both continuity and change.

Keywords : Kingdom of Koka, Mount Sisi, ceremonies, royal coronation

تمهيد:

شاركت في مؤتمر علمي بعنوان: مقدمات في الآثار والتاريخ والعمران واللغة في إقليم الشلال الثالث، الذي انعقد في منطقة كوكا – محلية دلقو – الولاية الشمالية، السودان، في الفترة من 19 إلى 23 أكتوبر 2025م. ومن أبرز فعاليات افتتاح هذا المؤتمر يوم الاثنين 20 أكتوبر، كانت محاكاة موكب التتويج الملكي عند ملوك كوكا في جبل سيسي (أو سيسب)، وقد أثار هذا الموكب في نفسي عدداً من التساؤلات حول فلسفة مراسم التتويج الملكي عند النوبيين وأبعادها الدينية، ومظاهر استمراريتها عبر الحقب التاريخية المتتالية.

من خلال المشاركة في هذا الاحتفال الرمزي، تبين لي أن مراسم التتويج لم تكن مجرد عملية سياسية، بل كانت طقسًا ذا جذور روحية عميقة يربط بين الإنسان والأرض والأسلاف، ويلاحظ مظاهر استمرار حضور المفاهيم الدينية القديمة المرتبطة بالسلطة في هذه المراسم الشكليّة، مما يشير حضورها حتى الفترة المتأخرة عند النوبيين، وأعني هنا الفترة الإسلامية مابين القرنين الخامس عشر وحتى بداية القرن التاسع عشر الميلادي، والتي تزامنت مع فترة مملكة كوكا، حيث كان الموقع الذي يتم فيه التتويج بجبل سيسي يوحي بأنه مكان مقدس للتجلي والاتصال بين الملك والقوى العليا أو الآلهة.

تحاول هذه الورقة إلقاء الضوء على البعد الدينى لمراسم التتويج في الممالك السودانية في الفترتين القديمة والوسيطة دون التطرق إلى التفاصيل التاريخية الدقيقة لتلك الممالك، ثم التعريف بمملكة كوكا الإسلامية ومظاهر مراسم التتويج الملكي في جبل سيسي مع استخلاص الأبعاد الدينية.

من جانب آخر تهدف هذه الورقة إلى إبراز البعد الديني في فلسفة تتويج ملوك كوكا بجبل سيسي، وربط هذا الطقس الملكي بجذوره التاريخية ضمن تسلسل المعتقدات والممارسات الدينية في السودان عبر العصور؛ واعتمدت هذه الورقة على الدراسة التأسيسية التى تناولت هذا الموضوع من خلال التنقيب الأثري والدراسة الميدانية، ونشرت عام 1982م، كما هو موضح في قائمة المصادر والمراجع، وكنتاج لمناقشاتي مع البروفيسور على عثمان محمد صاحب الورقة في أيام إنعقاد فعاليات المؤتمر، ونقاشي كذلك مع أهل منطقة كوكا وأحفاد ملوكها، واستعنت أيضاً بالذكاء الإصطناعي للاستفادة من المادة المرجعية الموجودة في شبكة الإنترنت، كما ركزت الورقة على تكثيف المادة البصرية من صور فتوغرافية ذات الصلة بالورقة، قمت بتصوير بعضها أثناء زيارتى لتلك المواقع، من قناعة ترسخت عندي أن الصورة قد تغني عن كثير من الشرح المكتوب(صور رقم (1-2-3).

الباحث وخلفه الجبل

صورة رقم(1-2-3)

جانب من مشاركة الباحث في برنامج المؤتمر ومراسم التتويج الملكي في جبل سيسي

مراسم التتويج الملكي في السودان القديم والوسيط:

تُعدّ طقوس التتويج الملكي إحدى أهم الممارسات الدينية والسياسية في تاريخ ممالك وادي النيل القديم، لما تحمله من رمزية تتصل بمفهوم الشرعية الإلهية والسلطة الزمنية. وفي أقدم المدنّيات السودانية المعروفة بفترة حضارة مملكة كرمة (2500 – 1500 ق.م)، لا تتوافر دلائل أثرية أو نصية واضحة تحدد بدقة طبيعة مراسم التتويج، غير أن بعض الشواهد تشير إلى الأهمية السياسية والدينية للدفوفة الغربية وشكلها الأقرب للجبل، ما يرجّح احتمال استخدامها كموقعٍ لإجراء مراسم التتويج الملكي والطقوس المرتبطة بها(1)، (صورة رقم 4).

صورة رقم (4)

الدفوفة الغربية بمدينة كرمة(2)

أما في الفترتين النبتية والمروية (900 ق.م – 350 م)، فقد تطورت عملية التتويج لتصبح شعيرة دينية رسمية تمثل نقطة الالتقاء بين السلطتين الدينية والدنيوية. وتشير النقوش والنصوص الملكية إلى أن اختيار الملك كان يتم أولاً في العاصمة السياسية مروي، ثم ينتقل الملك الجديد في مسيرة احتفالية دينية إلى نبتة، العاصمة الروحية، حيث تُجرى مراسم التتويج الفعلية في معبد آمون بجبل البركل(أنظر: صورة رقم 5).

صورة رقم(5)

جبل البركل (3)

وتصف النصوص أن الملك الجديد كان يُستقبل استقبالاً شعبياً واسعاً عند مشارف نبتة، برفقة الكهنة وحملة الرموز المقدسة. وبعد عبور النيل إلى الضفة المقابلة لجبل البركل، يُقاد الملك في موكب رسمي إلى معبد آمون حيث تبدأ شعائر التتويج. وتشير النقوش إلى أن جميع الملوك تسلموا تيجانهم في «حجرة العرش» داخل المعبد الكبير، حيث كانت محفوظة تيجان وصُولجانات ملوك كوش القدماء. ويبدو أن هذه الرموز الملكية كانت تُقدَّم مؤقتًا للملك أثناء التتويج ثم تُعاد إلى موضعها الأصلي بعد انتهاء المراسم، بما يؤكد استمرارية رمزية السلطة عبر الأجيال. ويعقب التتويج موكب ديني كبير يشارك فيه تمثال الإله آمون، في دلالة على رضا الإله واعترافه بالملك الجديد. ويُختتم الاحتفال بتقديم القرابين والهدايا وإقامة الولائم تكريمًا للإله، وتمتد هذه الطقوس عادة لعدة أيام، تتخللها صلوات وأدعية جماعية.ومن بين الشعائر الأساسية التي كانت تلي التتويج فترة خلوة روحية للملك داخل أحد المعابد، تمتد لأيام معدودة لكسب التأييد من الآلهة، بينما كان عامة الناس خارج المعبد يشاركونه الدعاء من أجل تحقيق الانسجام بين الإرادة الإلهية والسلطة الملكية.

تُظهر هذه الممارسات أن انتقال السلطة في مملكة مروي كان يتم عبر مرحلتين مترابطتين:

1. المرحلة الأولى: الاختيار المبدئي للملك في مروي، بوصفها العاصمة السياسية ومركز القرار الإداري.
2. المرحلة الثانية: التتويج الرسمي في نبتة، العاصمة الدينية، يعقبه الطواف الملكي بالمعابد الشمالية في الكوة تأكيدًا للشرعية الإلهية وترسيخًا لقداسة الملك الجديد بوصفه ممثلاً للإله آمون على الأرض(4).

هناك شبه اجماع بين المؤرخين السودانيين بتوريخ فترة العصر الوسيط بقيام الممالك النوبية الثلاثة في القرن السادس الميلادي، وهي: مملكة نوباتيا في الشمال وعاصمتها فرص، وفي الوسط مملكة مقرة وعاصمتها مدينة دنقلا ، وفي الجنوب مملكة علوة وعاصمتها مدينة سوبا، والتى اشتهرت بالممالك النوبية المسيحية بعد اعتناقها للديانة المسيحية في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي على يد الإرساليات المسيحية. لذا فإن مراسم التتويج الملكي في هذه الممالك ومملكة مقرة (Makuria) اتخذت طابعًا دينيًا كنسيًا متكاملًا منذ القرن الثامن الميلادي، بعد أن أصبحت دنقلا مركز السلطة السياسية والروحية معًا عقب اتحاد مملكتى نوباتيا ومقرة، وأصبحت الكاتدرائية الكبرى في دنقلا المكان الرمزي لإقامة هذه المراسم، والموقع الرسمي الذي يتم فيه الإعلان عن تنصيب الملك الجديد، بحضور رئيس الأساقفة وأساقفة المقاطعات. والتى استُخدمت كموقع لطقوس التتويج والدفن الملكي(أنظر: صورة رقم 6).

صورة رقم(7)

كتدرائية دنقلا(كنيسة الأعمدة الجرانيتية)(5)

وكان التتويج يتمّ وفق طقوس كنسية، تشمل البركة الأسقفية والصلوات النوبية داخل المذبح، ما يعكس شرعية الملك المستمدة من الإرادة الإلهية، كما كان يقام طقس تكريم الملوك بعد وفاتهم داخل الكنائس، عبر الجداريات التي تُظهرهم في حضرة المسيح والعذراء، وهو تمثّل امتدادًا رمزيًا لمراسم التتويج باعتبارها تتويجًا روحيًا أبديًا. وبذا صارت المؤسسة الكنسية هي التي تمنح الشرعية للحكم، إذ كان رئيس الأساقفة في دنقلا يؤدي دورًا معادلًا للكهنة، مما يشير بشكل من لاستمرار واضح لفلسفة «التتويج عند الجبل أو المعبد المقدس» التي عرفتها النوبة منذ العصور النبتية والمروية (6).

مملكة كوكا (كوكي):

كان النظام الإداري والسياسي في مملكة النوبة – بعد اتحاد مملكتي نوباتيا والمقرة في القرن الثامن الميلادي – يقوم على تقسيم البلاد إلى ممالك صغيرة مستقلة إداريًا، يرأس كل منها ملك، بينما تخضع جميعها للسلطة العليا للأسرة الملكية الحاكمة في دنقلا. وتشير المصادر إلى وجود وشائج قربى ومصاهرة بين هذه الأسر الملكية. ومع ضعف المملكة، والتحولات الاجتماعية والثقافية والدينية، وانتشار الإسلام والثقافة العربية، يُرجَّح أن هذه الممالك بدأت تتجه نحو الاستقلال التدريجي؛ والراجح عندي أن من بين هذه الممالك ظهرت مملكة كوكا التي تمركزت في منطقة المحس خلال حقبة ما بعد سقوط مملكة المقرة المسيحية، واستمرت ككيان شبه مستقل حتى الغزو التركي-المصري للسودان عام 1821م.

ارتبطت نشأة مملكة كوكا، في بعض الأراء، بظهور مؤسسها الملك الناصر ابن أحد الزعماء العشائريين المعروفين باسم داووقاتي، والذي تلقى تعليمه في الأزهر الشريف بمصر، وقد أكسبه هذا التعليم مكانة دينية وعلمية متميزة ساعدته على بسط نفوذه وتوليه الملك، وتختلف الروايات حول تنصيبه؛ إذ تشير إحداها إلى انتخابه أثناء صراع المحس مع قبائل العنج الجنوبية، بينما تذكر رواية أخرى أن تتويجه تم بموافقة ملك العنج نفسه، وربما كانوا بقايا نوبيي مملكة علوة(7).

وتشير روايات أخرى إلى أن الملك جامع كان المؤسس الفعلي للمملكة، بعد معارك طويلة خاضها مع أحد الملوك المسيحيين. ويُقال إن ذلك حدث في زمن الملك عبد الله برشمبو حاكم دنقلا عام 1317م، حيث استفاد المسلمون من عادة ملوك النوبة المسيحيين في توريث الحكم لابن البنت. وقد أدى زواج العرب المسلمين من بيوت الملوك إلى تمكين الملك جامع من الوصول إلى سدة الحكم، ومعه أخوه سكر الذي تولى السلطة الدينية والقضائية، بينما احتفظ جامع بالسلطة السياسية. ومن ثم أصبح أحفاد سكر قضاة الشريعة، وأحفاد جامع هم الملوك الذين تعاقبوا على حكم مملكة المحس الخزرجية(8).

أشار الرحالة السويسري جون لويس بوركهارت الذي زار المنطقة في أوائل القرن التاسع عشر إلى مكانة المحس وسلطتهم، فقال: « يزعم المحس أنهم من نسل قريش، وكان رجالهم بدواً وزُرّاعاً، ويروون أن جماعة من قريش استولت على الوادي حين غزا البدو القادمون من الشرق مصر والتوبة. وزعيمهم يُعرف بملك المحس أو ملك الدار، وهو من عشيرة جامع، يجبي إيراد مملكته ويدفع لأمراء النوبة جزية سنوية...»(9). وفي رواية معتمدة عند ملوك كوكا استندت على وثيقة استخرجها الملك عبد العزيز الزبير من « كُتب خان « في القاهرة عندما ذهب ضمن وفود

زعماء العشائر لتقرير مصير السودان عام 1952م، أشارت إلى أن هذه المملكة قامت على أنقاض المملكة المسيحية « مملكة سيسب « الذي كان ملكها « سيسب»، وأسسها الملك جامع و اخيه سُكّر و هم من احفاد محمد الحسن جد المحس الذي دخل بلاد النوبة من ضمن علماء حملة الصحابي الجليل عبد الله بن أبي السرح وذلك في عام 31 هجرية عندما وقّع ملك النوبة إتفاقية « البقط « و عند قيام الممالك البحرية في عام 50م م على يد ملك دنقلا عبد الله بير شمّبو الذي أعلن إسلامه و قامت الممالك البحرية في وادي النيل .

قامت مملكة كوكى على يد الملك جامع و أخيه سُكّر إمام المسلمين و كانت عاصمة مملكة « سيسب « في جبل سيسة العالية و بقايا هذه المملكة موجودة حتى الان فوق جبل « سيسب «، و تولى عرش مملكة كوكى الملوك الآتية :

. الملك جامع من 1250م إلى 1292م -1

-2 الملك الناصر1292م إلى 1327م.

-3 الملك شلبي 1355م إلى1395م.

-4 الملك همّت 1405م إلى 1470م.

-5 الملك عبد الله 1405م إلى 1590م.

-6 الملك أُرو نصر 1590م إلى1660م.

-7 الملك دياب أُرو نصر1660م إلى1712م(في عهده انتقل مقر الحكم من سدلة إلى كوكي).

-8 الملك الزبير 1752م إلى 1805م.

-9 الملك دياب 1805م إلى 1862م.

-10 الملك زبير1862م إلى 1912م(تم نفيه إلي مصر قبل قيام الثورة المهدية).

-11 الملك عبد العزيز الزبير، وهو آخر ملوك المحس 19121م إلى 1958م.

تعبّر هذه الوثيقة عن الرواية الرسمية لأحفاد ملوك كوكا رغم ما فيها من مغالطات تاريخية في ديباجتها وتاريخ بداية هذه المملكة، وتحتاج هذه الوثيقة للمراجعة والنقد والتحليل، إلا أنها في مجملها مهمة لكونها الوثيقة الوحيدة المكتوبة حتى عن الآن والتى أشارت بوضوح إلي تسلسل ملوك كوكا(وثيقة رقم 1).

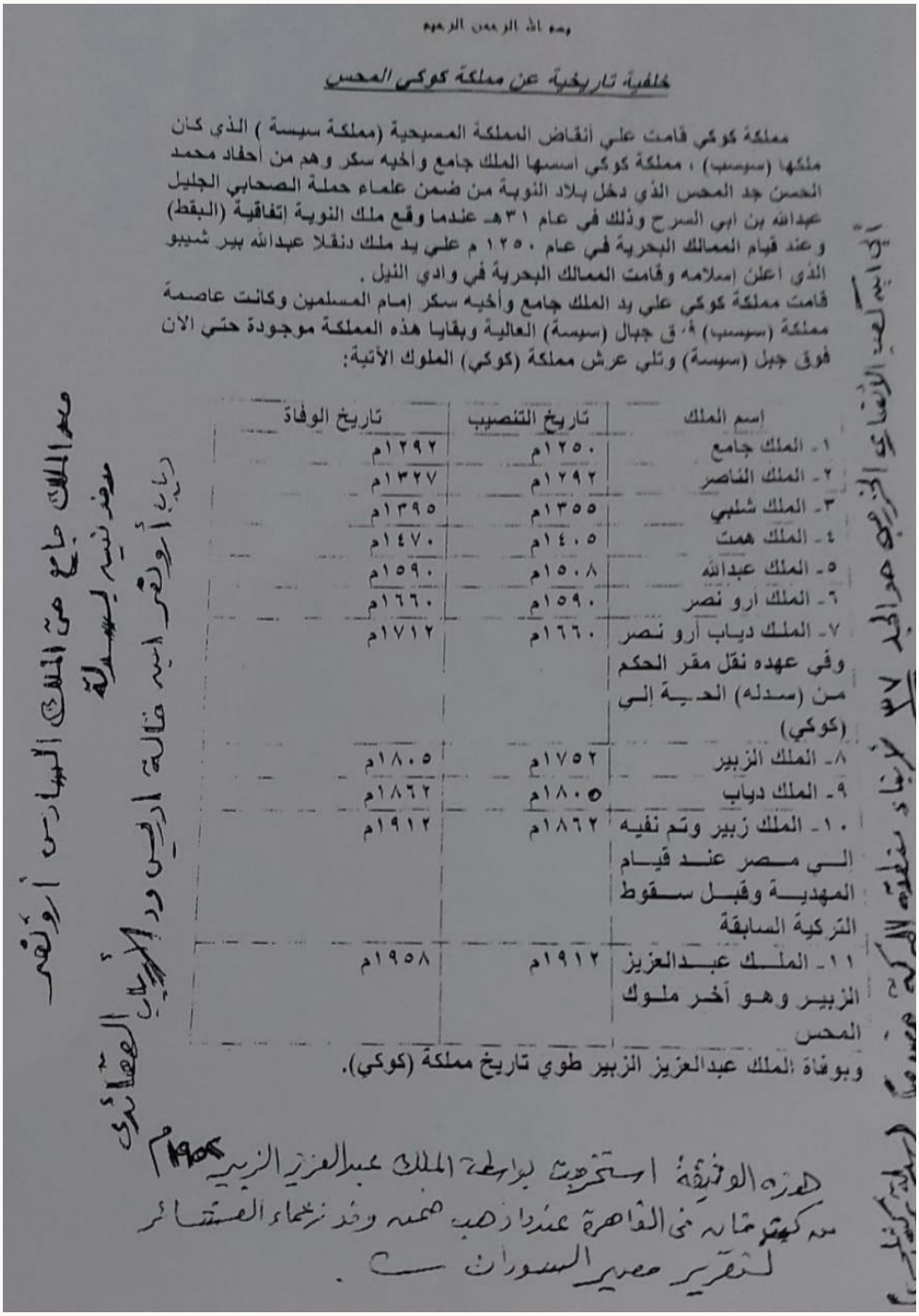

بسم الله الرحمن الرحيم

خلفية تاريخية عن مملكة كوكي المحس

مملكة كوكي قامت علي انقاض المملكة المسيحية (مملكة سيسة) الذى كان ملكها (سوسب) ، مملكة كوكي اسسها الملك جامع واخيه سكر وهم من احفاد محمد الحسن جد المحس الذى دخل بلاد النوبة من ضمن علماء حملة الصحابي الجليل عبدالله بن ابي السرح وذلك في عام ٣١هـ عندما وقع ملك النوبة إتفاقية (البقط) وعند قيام الممالك البحرية في عام ١٢٥٠ م علي يد ملك دنقلا عبدالله بير شيبو الذى اعلن إسلامه وقامت الممالك البحرية في وادي النيل .

قامت مملكة كوكي علي يد الملك جامع وأخيه سكر إمام المسلمين وكانت عاصمة مملكة (سوسب) ف جبال (سيسة) العالية وبقايا هذه المملكة موجودة حتى الان فوق جبل (سيسة) وتلي عرش مملكة (كوكي) الملوك الأتية:

اسم الملك	تاريخ التنصيب	تاريخ الوفاة
١- الملك جامع	١٢٥٠م	١٢٩٢م
٢- الملك الناصر	١٢٩٢م	١٣٢٧م
٣- الملك شلبي	١٣٥٥م	١٣٩٥م
٤- الملك همت	١٤٠٥م	١٤٧٠م
٥- الملك عبدالله	١٥٠٨م	١٥٩٠م
٦- الملك ارو نصر	١٥٩٠م	١٦٦٠م
٧- الملك دياب أرو نصر وفي عهده نقل مقر الحكم من (سدله) الحبة إلى (كوكي)	١٦٦٠م	١٧١٢م
٨- الملك الزبير	١٧٥٢م	١٨٠٥م
٩- الملك دياب	١٨٠٥م	١٨٦٢م
١٠- الملك زبير وتم نفيه الي مصر عند قيام المهدية وقبل سقوط التركية السابقة	١٨٦٢م	١٩١٢م
١١- الملك عبدالعزيز الزبير وهو آخر ملوك المحس	١٩١٢م	١٩٥٨م

وبوفاة الملك عبدالعزيز الزبير طوي تاريخ مملكة (كوكي).

هذه الوثيقة استخرجت بواسطة الملك عبدالعزيز الزبير من كتبخانه في القاهرة عندما ذهب ضمن وفد زعماء العشائر لتقرير مصير السودان

وثيقة رقم(1)

استند نظام الحكم في مملكة كوكا إلى مؤسسة ملكية مركزية مدعومة ببنية إدارية تعكس استمرارية العناصر النوبية القديمة، وتكوّنت الإدارة الملكية في كوكا من عدة مكاتب رئيسية على النحو التالي:

- الملك: الحاكم العام ورئيس الجيش.
- الملكة الأم: صاحبة الدور الاستشاري في شؤون البلاط.
- القاضي: الشخصية المركزية المسؤولة عن التتويج والقيادة الدينية.
- الكاتب
- الرسول الملكي.
- حكام المقاطعات أو الولايات؛ حيث قُسّمت المملكة إلى سبع مقاطعات، تولى حكم ست منها أقارب الملك، بينما بقيت كوكا (العاصمة) تحت إشرافه المباشر.
- طبقة من الموظفين باسم (Samets)، تولوا مهام تحصيل الضرائب وتنظيم السواقي (10). ويبدو أن المقصود هو صمد(سمد) الساقية، والذي كان يمثل أصغر الحلقات في المنظومة الإدارية والأقتصادية والاجتماعية النوبية، ومازال الاسم مستخدم في المنطقة النوبية وإن تقلصت مهامه وأدواره.
- وتشير الروايات الشفاهية لأحفاد ملوك كوكا إلى منصب مهم وهو رئيس مجلس الشورى الذي كان له دور بارز في النظام الإداري وفي عملية إختيار الملك الجديد.

أما مقاطعات وولايات مملكة كوكا كانت النحو التالي:

الولاية الأولى: تمتد من خور موسى باشا إلى صلب، وكان يحكمها دهشب من سلالة الملك جامع.

الولاية الثانية: صلب.

الولاية الثالثة: المضيقين.

الولاية الرابعة: قرقود.

الولاية الخامسة: كوكا (مقر الملك).

الولاية السادسة: تقع جنوب كجبار.

الولاية السابعة: حنك، وهي أقصى حدود المملكة الجنوبية(11).

مراسم التتويج الملكي في جبل سيسي:

يشير علي عثمان في دراسته القيّمة حول مملكة كوكا إلى أن مراسم تتويج الملوك لم تكن مجرد حدثٍ سياسي، بل كانت طقسًا دينيًا مركبًا يجمع بين الإرث النوبي-المسيحي والتقاليد الإسلامية التي سادت المنطقة بعد سقوط مملكة المقرة. فقد كان التتويج يتم على قمة جبل سيسي (صورة رقم 8). وهو موقع ذو قداسة رمزية في الذاكرة النوبية، ارتبط منذ العصور المسيحية بالطقوس والشعائر الدينية، إذ مثّلت الجبال في المعتقد النوبي القديم مراكز للتواصل مع القوى الإلهية ومواطن للقداسة.

كان الملك يجلس أثناء التتويج في مواجهة الشرق، أي جهة شروق الشمس، وهو اتجاه ذو دلالة روحية ورمز للنور الإلهي وشرعية الحكم، مما يعكس استمرار التأثيرات الرمزية للموروث

المسيحي في بنية السلطة ومفهومها الشرعي، وكان للقاضي دورًا محوريًا في هذه المراسم، جامعًا بين الوظيفة الدينية والسياسية، إذ كان يمنح عملية التتويج الشرعية الإسلامية عبر الدعاء والخطاب الديني، وهو دور يشبه ما كان يؤديه الكهنة في العصور الوسطى، لكنه أعيد تفسيره وتكييفه ضمن الإطار الإسلامي الجديد. مما يعكس ظاهرة التحول التدريجي للمؤسسات الدينية التقليدية في النوبة وتكيفها مع التحولات السياسية والدينية التي شهدتها المنطقة، كما تضمنت المراسم استخدام أدوات رمزية تمثل السلطة والبركة، مثل العصا الملكية والخاتم، التي تؤكد استمرار الرموز الدينية القديمة في نقل الشرعية الملكية. ويكشف الربط بين الجبل المقدس، واتجاه شروق الشمس، ودور القاضي الإسلامي عن استمرارية نسق رمزي عريق، يجسد التحول من المسيحية إلى الإسلام دون انقطاع في جوهر المفهوم الديني للسلطة. ويؤكد ذلك أن الحكم في مملكة كوكا لم يكن مجرد سلطة زمنية، بل سلطة مشروعة دينيًا وروحيًا، تستمد قوتها من رموز ذات عمق تاريخي وثقافي متوارث، وكذلك تشير هذه الطقوس إلى التكامل بين السلطة الملكية والزعامة القبلية؛ إذ كان تتويج الملك المؤسس، المنتمي إلى عشيرة داووقاتي، يتم بموافقة ومشاركة القوى القبلية المحلية، مما يعكس الرؤية النوبية القديمة التي تربط بين القيادة السياسية والروحانية، ويؤكد استمرار القيم والمؤسسات النوبية في الإدارة والطقوس بعد التحول إلي الإسلام(12).

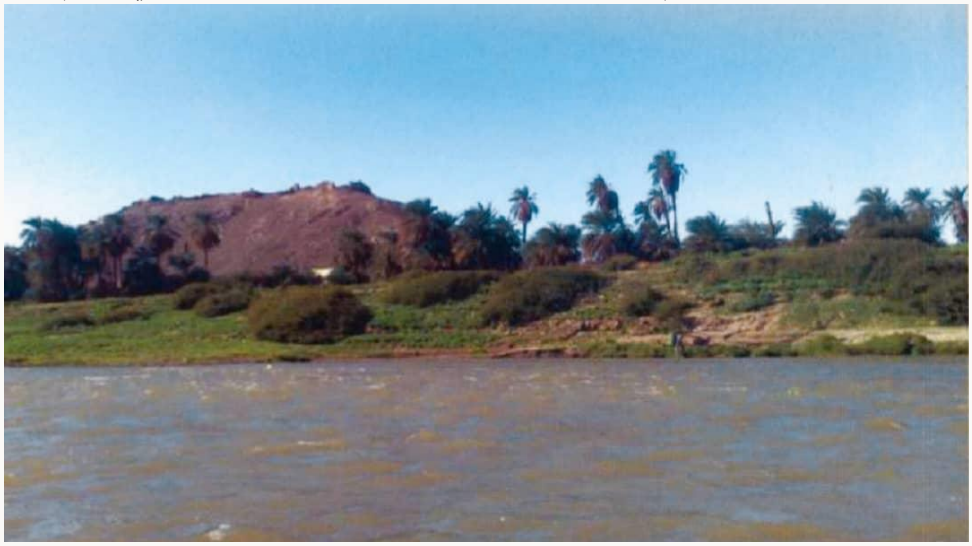

صورة رقم(8)

جبل سيسس(سيسب)(13)

يضيف كمال الدين البشير – من خلال الروايات التي جمعها – تفاصيل دقيقة حول مراحل التتويج. إذ تبدأ المراسم عادةً بعد وفاة الملك السابق، حيث يُعلن في المقابر عن تنصيب ولي العهد خليفةً له، بحضور الوفود المشاركة وجمهور المشيعين. ثم ينعقد مجلس الشورى في طابية تقع شمال طابية الملك، عُرفت باسم طابية حسن (أو حسن نكي)، نسبة إلى حسن بن سكر، أحد أحفاد القاضي سكر، الذي ينتمي إليه قضاة الشريعة المكلفون بإدارة شؤون التتويج، ومنهم المدناب وغيرهم من الفروع القبلية ذات الصلة، بعد اجتماع مجلس الشورى وإعلان خليفة الملك،

يُحدد موعد التتويج، وغالبًا ما يكون بعد سبعة أيام من وفاة الملك السابق. ويُقام الاحتفال في جبل سيسب – تيمّنًا بتتويج الملك المؤسس جامع – الذي أصبح الموقع الرسمي لتتويج ملوك المحس من بعده. في اليوم السابع، تبدأ المراسم بزفة كبرى تُشارك فيها جميع وفود المملكة التي حضرت من المناطق المختلفة. وتتولى كل مجموعة أداء أدوار احتفالية محددة تم توزيعها مسبقًا.

اليوم الأول: الزفة من مقر الحكم إلى موقع التتويج، حيث تبدأ مراسم التنصيب الرسمي.

اليوم الثاني: تُقام الاحتفالات الكبرى على جبل سيسب احتفاءً بالملك الجديد، ثم يُزف الملك عائدًا إلى مقر حكمه، الذي كان في سدلة قبل أن ينتقل إلى كوكا في عهد الملك دياب نصر (صور رقم 9-10).

صور رقم(9-10)

جانب من مقر حكام المملكة في كوكا

أما طقوس التتويج على الجبل عندما يُعلن عن بدء المراسم، تتجمع الوفود القادمة من مختلف أنحاء بلاد المحس، حاملة ذبائحها وهداياها للمشاركة في الاحتفال.، ومن المناطق التى ينتمي لها أهل هذا الإقليم، فقد أشارت بعض الروايات أن من بين الحضور وفدًا من جزيرة توتي برئاسة عبد الرحمن جميل الله، وعند وصول الجميع إلى جبل سيسب، تبدأ الإشارة إلى انطلاق المراسم بضرب النحاس، ثم يصعد الملك ومعه قضاة الشريعة وسط الزفة قبل صلاة الظهر، وعند بلوغ قمة الجبل، يستقبل الملك القبلة، في إشارة إلى الشرعية الدينية الإسلامية، ثم يقوم القاضي الرئيس بوضع العمامة الملكية فوق رأسه، يليها تاج مملكة المحس بمساعدة القضاة. وكان آخر من تولى هذه المهمة القاضي طاهر – ويُعرف محليًا بـ "طاهر قاضي" – الذي يُعتقد أنه جد السيد يوسف طاهر، معتمد دلقو في العصر الحديث(14). وتذكر بعض الروايات أن حكام الأقاليم كان يجتمعون في مقر الحكم بكوكا وهم يحملون هداياهم التى كانت في في الغالب أبقار يتم ذبحها ضمن برنامج المراسم وللضيافة في مكان مخصص في القصر يعرف بحوش البقر.

رمزية موقع جبل سيسي كمكان للتتويج:

يُعد جبل سيسي ذا أهمية استراتيجية على ضفاف النيل، كما يمتلك قيمة دينية كبيرة أهّلته ليكون موقعًا مناسبًا لإقامة مراسم تتويج الملوك. يقع الجبل بالقرب من معبد أخناتون، وهي أحد ثلاثة معابد موجودة في شمال السودان، وتبلغ مساحته تقريبًا 200 × 150 مترًا، وهو معبد حجري شُيّد في عهد الملك أخناتون مكرّسًا لعبادة الإله آتون(15)،(صور رقم 11).

صورة رقم (11)

معبد إخناتون (آتون) في سيسي

نشير هنا إلى آن التحول الذي طرأ على معبد أخناتون في منطقة الكوة إلى معبد للإله آمون ذا أهمية خاصة، إذ ارتبط بوضوح بمراسم تتويج ملوك الأسرة الخامسة والعشرين. ويشير ذلك إلى استمرار جذوة التوحيد الديني تحت رماد التحولات الدينية، باعتبارها الأساس الذي بُنيت عليه مراسم التتويج الملكي عبر الفترات المختلفة.

يرى بعض الباحثين أن معابد أخناتون في مناطق جبل سيسي والكوة تمثل امتدادًا للفكر الديني الفرعوني الخاص بالآتون، حيث كانت طقوس التتويج الملكي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالطقوس الشمسية. وقد اختيرت مواقع هذه المعابد بعناية لتكون نقاطًا مرتفعة ومرئية، تمثل الاتصال المباشر بين الملك والإله آتون(16).

هذه المعطيات تؤكد أن اختيار جبل سيسي كمكان للتتويج لم يكن عشوائيًا، بل كان مرتبطًا بالقداسة والرمزية التاريخية للجبال. فقد كانت الجبال في الوعي الديني الإنساني منذ العصور القديمة رموزًا كونية للسمو الروحي والاتصال بالعالم الإلهي، وشغلت مكانة مركزية في كلٍ من الديانات الوثنية والسماوية، ففي الديانات الوثنية، مثّلت الجبال مساكن للآلهة ومراكز للقداسة، حيث كانت نقطة التقاء بين السماء والأرض ومكانًا لتجلي القوى الإلهية التي تمنح الشرعية للملوك. ففي سودان وادي النيل، على سبيل المثال، كان جبل البركل مركزًا روحيًا ومسرحًا لطقوس التتويج الملكي في الفترتين النبتية والمروية؛ في ذات المنحى يرى كيندل أن جبل البركل كان المركز الروحي والسياسي للملكية النوبية، وموقعًا مقدسًا لمراسم التتويج الملكي منذ القرن الثامن قبل الميلاد وحتى القرون الميلادية الأولى. وحافظ ملوك الأسرة الخامسة والعشرين على هذا التقليد حتى بعد انتقال مركز الحكم إلى مروي، حيث كانوا يسافرون إلى جبل البركل لإتمام مراسم التتويج، مما يعكس الاستمرارية الدينية والسياسية(17).

في الديانات السماوية الثلاثة، مثّل الجبل أهمية رمزية مقدسة، حيث يُعد جبل سيناء موقعًا محوريًا في التراث الديني اليهوديالمسيحي، إذ تجلّى الله على النبي موسى هناك ومنحه شريعته، فكان فضاءً للقاء الإلهي، ولعهدٍ جديد، ولإعلان نظام دينيأخلاقي متميّز. وقد شكّل بذلك رمزًا للسلطة المقدّسة والوحي، ويُستخدم في العهد الجديد كمجاز لشروط العهد القديم، مقابل جبل صهيون الذي يرمز للنعمة والروحانية(صورة رقم12) (18).

صورة رقم(12)

جبل صهيون(19)

أمـا في الإسـلام، فتتجـلى رمزيـة الجبـل في جبـل النـور أو تـل الاسـتنارة بالقـرب مـن مكـة في الحجـاز، والـذي يضـم غـار حـراء، مـكان أول وحـي تلقـاه النبـي محمـد ﷺ مـن اللـه بواسـطة المَلَـك جبريـل عليـه السـلام، حيـث نزلـت أول خمـس آيـات مـن سـورة العلـق، مؤكـدًا المكانـة الروحيـة للجبـل في الوعـي الدينـي الإسـلامي(20).

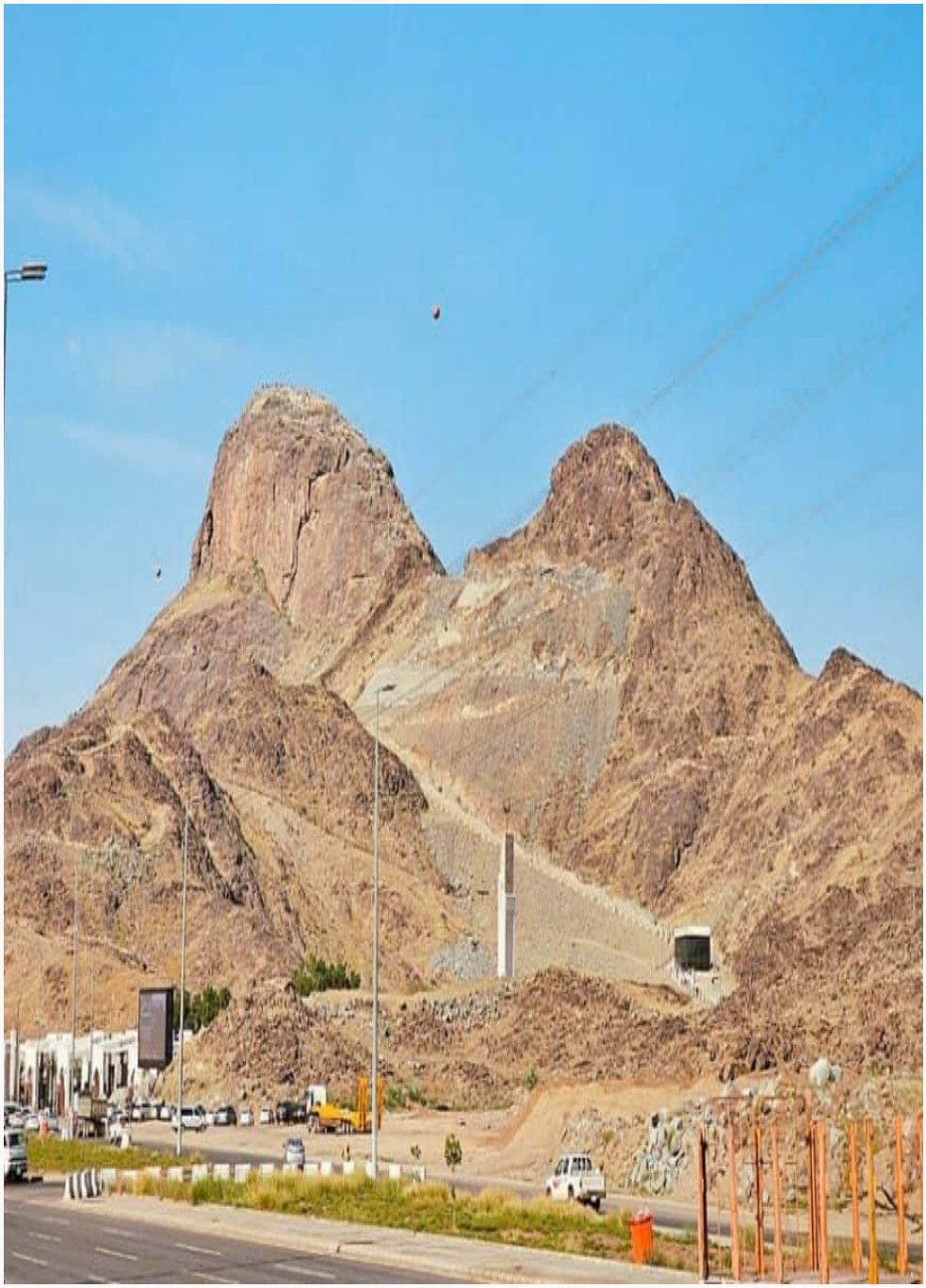

صورة رقم(13)

جبل النور(21)

مظاهر الاستمرارية والتغيير في مراسم التتويج:

إن إبراز البعد الديني في فلسفة تتويج ملوك كوكا بجبل سيسي يقتضي ربط هذا الطقس الملكي بجذوره التاريخية ضمن تسلسل المعتقدات والممارسات الدينية في السودان عبر العصور. ويمكن تتبع تطور المراسم الملكية في ضوء التحولات الدينية والثقافية من خلال ثلاث مراحل رئيسية شكّلت التاريخ الديني السوداني:

أولاً: مرحلة الديانات الوثنية (التاريخ القديم)؛ وتميّزت هذه المرحلة بانتشار الديانات المحلية التي تعددت فيها الآلهة، وكان من أبرزها الإله آمون. حظي الدين ورجاله ومؤسساته في تلك الفترة بمكانة سامية، حيث لعب الكهنة دورًا محوريًا في تنصيب الملوك وخلعهم، كما ارتبط الملوك بالآلهة واعتُبروا امتدادًا أرضيًا لها.

ثانيًا: المرحلة المسيحية (التاريخ الوسيط)؛ مع دخول الديانة المسيحية في القرن السادس الميلادي، وتبني الممالك النوبية الثلاثة لها (نوباتيا، المقرة، علوة)، انتقلت وظيفة الكهنة الوثنيين إلى رجال الكنيسة الذين أدّوا دورًا مشابهًا في منح الشرعية للسلطة، عبر طقوس التتويج والتعميد الملكي، مما عزّز من تداخل الدين والسياسة في البنية النوبية.

ثالثًا: مرحلة التحول إلى الإسلام (التاريخ الحديث)؛ ابتداءً من القرن الخامس عشر الميلادي، ومع انتشار الإسلام والثقافة العربية، ظهرت الممالك والسلطنات الإسلامية التي أعادت صياغة الموروث السياسي-الديني في قالب إسلامي جديد. غير أن مظاهر التتويج الملكي القديمة ظلت مستمرة مع تعديلات طفيفة تراعي رموز الشرعية الإسلامية.

إن هذه المقدمة كانت ضرورية للحديث حول أهمية المكان الدينية في مراسم التتويج عند ملوك كوكا، حيث يُعد جبل سيسي موقعًا فريدًا يعكس تتابع الأهمية الدينية التاريخية للموقع، فبالقرب من الجبل من الناحية الجنوبية الغربية يقع معبد إخناتون، أحد المعابد النادرة في السودان المكرسة لعبادة الإله آتون، مما يشير إلى قِدم ارتباط الموقع بالطقوس الدينية، وتشير الآثار المحيطة بالجبل إلى وجود حصن مسيحي وعدد كبير من حجارة التعميد أمام غرفة التتويج في الركن الجنوبي الشرقي من الحصن، التي يُحتمل أنها استخدمت ضمن مراسم التتويج في تلك الفترة(صورة رقم 14).وكذلك توجد حجارة بها حفر صغيرة ربما كانت تستخدم للتعميد وجلب البركة(صورة رقم15)، وهناك حجر شبيه به موجود في مقر حكام ملوك كوكان وتشير الروايات إنها كانت تسخدم في غملية ختان الأولاد وتوضع دم الختان في هذه الحفر(صورة رقم 16).

صورة رقم (14)

صورة رقم(15)

صورة رقم(16)

أما في الفترة الإسلامية فقد احتفظ الموقع برمزيته كمكان مقدس، مع ظهور رموز جديدة مثل العمامة الملكية والشارات الإسلامية، إلى جانب استمرار بعض الرموز النوبية القديمة كالقرنين، التي برزت أيضًا في سلطنة الفونج (1504–1821م). وقد مثّل الكرسي الملكي أو المقعد المقدس) أحد أبرز الرموز الملوكية في سلطنة الفونج، إذ كان يُستخدم في مراسم التتويج والجلوس باعتباره رمزًا روحانيًا يجسد التواصل بين الملك والأسلاف، ويمنحه الشرعية الدينية والسيادة الروحية. ويعكس هذا العنصر استمرارية التقاليد النوبية والأفريقية القديمة بعد «أسلمتها» ضمن الثقافة الفونجية، التي مزجت بين الإرث المحلي والعقيدة الإسلامية(22).

تُظهر المقارنة بين مناطق التتويج النوبية اختلافًا في الرموز الطقسية. ففي جبل سيسي غابت مظاهر المبارزة والفروسية التي شكّلت جزءًا جوهريًا من مراسم التتويج في دنقلا، حيث كانت سباقات الخيل وسيلة رمزية للفصل بين المتنافسين على العرش. وفي إمارة كنكلاب الواقعة غرب النيل قبالة دنقلا، وهي من آخر المراكز السياسية النوبية المستقلة، ارتبطت مراسم التتويج ارتباطًا وثيقًا بسباق الخيول. وتشير الروايات الشفوية إلى أن الملك ناصر أحد آخر ملوك المنطقة المدفون في مقابر المناصرة غرب دنقلا، وهو من أصول حجازية كما تشير بعض الروايات. كان له ابنانوهما: حمد ومحمد،وبعد وفاته أُقيم سباق للخيل بينهما لتحديد من يخلف أباه، خسر حمد السباق، فلقّب بـ»أور كوسا» أي الملك الفاشل، بينما فاز محمد الذي لُقّب بـ»عبجنجي» – من الهتاف الشعبي "العب جا"، أي أن "العبد تقدّم في السباق" – وأصبح حاكمًا بعد أبيه(23). وتُظهر هذه الممارسة أن التتويج في دنقلا ظل محتفظًا بعناصر الاختبار الرمزي للفروسية والشجاعة كشرطٍ لشرعية الحكم، في حين ركّز تتويج ملوك كوكا على الشرعية الدينية والروحية.

الخاتمة:

من خلال تتبع مراسم التتويج الملكي في الفترة الإسلامية، ولا سيّما في جبل سيسي، يتضح أن فلسفة التتويج النوبي ظلت محافظة على جوهرها الديني رغم تبدّل العقائد عبر العصور. فالطقوس النوبية القديمة أعيد تفسيرها ضمن إطار الإسلام السياسي–الروحي، مما أوجد مزيجًا فريدًا من الاستمرارية والتغيير في رموز الشرعية والسلطة، ورغم أن هذه الورقة قدمت إضاءات تاريخية سريعة مع التركيز على مراسم التتويج عند ملوك كوكا في جبل سيسى فإن هذا الموضوع يحتاج لمزيد من الدراسات، خاصة فيما يتعلق بالشارات الملكية المشتركة وجذورها، ودور وأهمية الجبل كمكان مقدس ورمز للتتويج الملكي وقاسم مشترك في الحضارات السودانية المتعاقبة.

يوصي هذا المقال بضرورة إنتاج فيلم توثيقي يجسد مراسم التتويج الملكي في جبل سيسي، حفاظًا على هذا التراث النادر وتقديمه للأجيال القادمة في صيغة تعليمية مشوقة. كما يُوصى بـ إجراء دراسات مقارنة توثّق طقوس التتويج في مناطق السودان المختلفة، بهدف فهم تطور فلسفة الحكم والرموز الدينية في التاريخ السوداني.

المصادر والمراجع:

(1)لمزيد من التفاصيل، أنظر:

Reisner G.A, Excavations at Kerma, Parts 1- III & Parts IV-VI Harvard African-Studies,5 ,6, 1923 and Boston.

- أحمد محمد على الحاكم، ويونيه، شارس، كرمة مملكة النوبة: تراث أفريقي من عهد الفراعنة، إشراف: صلاح أحمد، (الخرطوم: شارلس شارلس بونيه والهيئة القومية للآثار والمتاحف، 1997م).

(2)https://images.app.goo.gl/iGJ3Vo2DYF52S9HD70

(3)https://images.app.goo.gl/xFsS1sPkDwfaWX4H6

(4)(4) عمر حاج الزاكي، مملكة مروي: التاريخ والحضارة، الطبعة الثانية، السودان: وحدة تنفيذ السدود، 2008م، ص. 49–53.

(5)88jNDbcMKtgYwBum3751sPEdukMaPsdfQ5unaT2ZESWMHE5HwtMbKsCTNz9d1yNwRJBiBVqzddbufT4T9K9ThmD8DydUZK5.

(6)Godlewski, Włodzimierz

(7)"Short History of the Church of Makuria (mid-6th–early 12th Century)"

(8)Polish Archaeology in the Mediterranean 27616–599 :(2018) 1/.

(9)DOI: https://doi.org/10.560401.3001.0013.2444/

(10)Osman, Ali. "The Post-Medieval Kingdom of Kokka: A Means for a Better Understanding of the Administration of the Medieval Kingdom of Dongola." In Nubian Studies: Proceedings of the Symposium for Nubian Studies, Selwyn College, Cambridge, 1978, edited by J. M. Bloomfield, 185–197. Warminster: Aris & Phillips, 1982.

(11)كمال الدين أحمد البشير الفضل، إمارة ومملكة المحس الإسلامية(866-1922م)، 2014م، ص46-49.

(12)جون لويس بورؤكهارت، رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان (1784–1817)، (القاهرة: دار كنوز للنشر والتوزيع، 2012م)، ص81.

(13)Osman, Ali. Ibid, Idem.

(14)كمال الدين أحمد البشير، المرجع السابق، ص49-50.

(15)Osman, Ali. Ibid, Idem.

(16)كمال المرجع السابق (صورة غلاف الكتاب).

(17)نفس المرجع، ص 52-54.

(18)Sesebi – New Kingdom Fort and Aten Temple." Sudan National Museum: https://sudannationalmuseum.com/pages_e/northernsudan/04_Sesebi/index.html>Shinnie, P. L. Ancient Nubia: African Kingdoms on the Nile. London Routledge, 1996. Accessed November 13, 2025. https://archive.org/details/ancientnubiaafri00shinn.

(19)McRae, Michael. “Nubia’s Black Pharaohs.” Discover Magazine December 2005.

(20) https://www.discovermagazine.com/nubias-black-pharaohs-15601

(21)GotQuestions.org. “What Is the Significance of Mount Sinai

(22) Accessed November 13, 2025

(23). https://www.gotquestions.org/mount-Sinai-significance.html

(24)https://share.google/Fso2rqhvxJsbBajFF (19)

(25)> Wikipedia, “Jabal al-Nour (20)

(26)https://en.wikipedia.org/wiki/Jabal_al-Nour

(27) https://share.google/gt3kOikvfEbabC2uU(21)

(28)> H. C. J. “The Kakar of the Fung.” Sudan Notes and Records 11 (1928): 253–256

(29)Accessed via Sudan Archive (Durham University).

(30)Sudan Archive Link

(31)(23)عـوض شـبا، ملـوك دنقـلا(500-1500م)، (الخرطـوم: دار آرثيريـا للنـشر والتوزيـع،2024م), ص37-38.